الحياة الفكرية والسياسية في عهد الامام محمد الباقر عليه السلام

دراسة تحليلية تاريخية

الأستاذ الدكتور
صالح مهدي عباس
جامعة بغداد ـ مركز إحياء التراث
الأستاذ المساعد الدكتور
سعدية كريم مهدي الخواجه
كلية الشيخ الطوسي الجامعة
Dr.sadia@altoosi.edu.iq

Intellectual and political life in the era of Imam Muhammad al-Baqir (peace be upon him)

a historical analytical study

Prof. Dr.
Saleh Mahdi Abbas
University of Baghdad - Heritage Revival Center
Asst. Prof. Dr.
Saadia Karim Mahdi Al-Khawaja
Sheikh Al-Tusi University College

الملخص:

الإمام محمد الباقر عليه السلام هو خامس الأئمة الأطهار الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليخلفوه في قيادة الأمة الإسلامية ويسيروا بها إلى شاطئ الأمن والسلام الذي قدّر الله لها في ظلال قيادة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ولقد انحدر الإمام الباقر عليه السلام من سلالة طاهرة مطهّرة ارتقت سلّم المجد والكمال وكان أفرادها قمماً شامخة في دنيا الفضائل بعد أن حازت على جميع مقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة في مجال الفكر والعقيدة والعقل والعاطفة والإرادة والسلوك، حيث أخلصوا لله تعالى وذابوا في محبته وانصهروا في قيم الرسالة الإسلامية وكانوا ربانيين بحق، وبذلك أصبحوا عِدلاً للقرآن الكريم بنصّ الرسول الأمين، والقدوة الشامخة بعد الرسول صلى الله عليه وآله والأمناء على تطبيق الرسالة الإسلامية والقادة المعصومون المؤهَّلون لتوجيه الأمة وتربيتها وإدارة شؤونها وتلبية متطلّبات تكاملها وتحقيق سعادتها دنياً وآخرةً.

الكلمات المفتاحية: الحياة الفكرية، السياسية، الإمام محمد الباقر، الكمال، أهل البيت.

Abstract:

Praise be to God, who gave everything its creation and then guidance, then blessings and peace be upon those whom He chose as guides to His servants, especially the Seal of the Prophets, the Master of the Messengers and the Pure Ones, Abu al-Qasim al-Mustafa Muhammad (peace and blessings of God be upon him and his family) and upon his noble and noble family. With reason he sees and discovers the truth and distinguishes it from falsehood, and by will he chooses what he deems suitable for him and fulfills his purposes and goals. God made the discerning intellect a proof for him over his creation, and assisted him with what he bestowed on intellects from the means of his guidance; It is He who taught man what he did not know, and guided him to the path of perfection that befits him, and made known to him the purpose for which he was created, and brought him to this worldly life in order to achieve it. The wise Qur'an explained.

Keywords: intellectual life, political, Imam Muhammad al-Baqir, perfect, home's people.

المقدمة:

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله الميامين النجباء. لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه. وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها. وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة اُخرى.

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم. وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال. وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة. وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم

يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلاّ يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح [1]تلقّي الوحي بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين. وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروريان تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر. وأن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول صلى الله عليه وآله، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته. ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول صلى الله عليه وآله إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: ((إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول صلى الله عليه وآله، ودراسة حياتهم بشكل

مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فأخذ الأئمة المعصومون عليهم السلام يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول صلى الله عليه وآله وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء.

تمهيد: الامام محمد الباقر عليه السلام.

من هو الامام الباقر عليه السلام:

الإمام محمد الباقر عليه السلام هو خامس الأئمة الأطهار الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليخلفوه في قيادة الأمة الإسلامية ويسيروا بها إلى شاطئ الأمن والسلام الذي قدّر الله لها في ظلال قيادة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ولقد انحدر الإمام الباقر عليه السلام من سلالة طاهرة مطهّرة ارتقت سلّم المجد والكمال وكان أفرادها قمماً شامخة في دنيا الفضائل بعد أن حازت على جميع مقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة في مجال الفكر والعقيدة والعقل والعاطفة والإرادة والسلوك، حيث أخلصوا لله تعالى وذابوا في محبته وانصهروا في قيم الرسالة الإسلامية وكانوا ربانيين بحق، وبذلك أصبحوا عِدلاً للقرآن الكريم بنصّ الرسول الأمين، والقدوة الشامخة بعد الرسول صلى الله عليه وآله والأمناء على تطبيق الرسالة الإسلامية والقادة المعصومون المؤهَّلون لتوجيه الأمة وتربيتها وإدارة شؤونها وتلبية متطلّبات تكاملها وتحقيق سعادتها دنياً وآخرةً.

ولد الإمام الباقر عليه السلام من أبوين علويين طاهرين زكيين فاجتمعت فيه خصال جدّيه السبطين الحسن والحسين عليهما السلام، وعاش في ظلّ جدّه الحسين عليه السلام بضع سنوات وترعرع في ظلّ أبيه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حتى شبّ ونما وبلغ ذروة الكمال وهو ملازم له حتى استشهاده في النصف الأول من العقد العاشر بعد الهجرة النبوية المباركة.

انطباعات عن شخصية الإمام محمّد الباقر عليه السلام

١. قال له الأبرش الكلبي: أنت ابن رسول الله حقاً. ثم صار الى هشام فقال: دَعُونا منكم يا بني أمية؛ إن هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض، فهذا ولد رسول الله[١].

٢. قال أبو اسحاق: لم أر مثله قط[٢].

٣. قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه[٣].

٤. قال الحكم بن عتيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: كان والله محمد بن علي منهم.

٥. كتب عبد الملك بن مروان الى عامل المدينة: ابعث إليّ محمد بن علي مقيّداً.

فكتب إليه العامل: ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أمير المؤمنين، ولا رداً لأمرك، ولكن رأيت أن اُراجعك في الكتاب نصيحة لك، وشفقة عليك. إنّ الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أورع منه، وإنّه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له فـ (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم). فَسُرّ عبد الملك بما أنهى إليه الوالي وعلم أنّه قد نصحه

٦. وقال له هشام بن عبد الملك: والله ما جرّبت عليك كذبا [٣]. وقال له أيضاً: لا تزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك[٤].

٧. قال له قتادة بن دعامة البصري: لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك[٥].

٨. قال له عبد الله بن معمر الليثي: ما أحسب صدوركم إلاّ منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه[٦].

٩. قال شمس الدين محمد بن طولون: أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، الملقّب بالباقر، وهو والد جعفر الصادق رضي الله عنهما، كان الباقر عالماً، سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقّر في العلم، أي توسّع، والتبقير التوسيع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير من لبّى على الأجبُل[٧]

١٠. قال محمد بن طلحة الشافعي: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، ومنمّق درّه وواضعه. صفا قلبه، وزكا علمه، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء[٨]

١١. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان محمد بن علي بن الحسين سيد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه[٩]

١٢. قال أبو نعيم الإصبهاني: الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر، محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، ومن جمع حسب الدين والابوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات[١٠]

١٣. قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: منبع الفضائل والمفاخر، الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ، وإنما سمي بالباقر لانه بقر العلم، وقد قيل: لقب بالباقر لما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين، اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً، أي يفجره تفجيراً، فإذا رأيته فاقرأه مني السلام. وكان خليفة أبيه من بين إخوته، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده[١١].

١٤. قال علي بن محمد بن أحمد المالكي ـ المعروف بابن الصباغ ـ: وكان محمد بن علي بن الحسين عليه السلام مع ما هو عليه من العلم والفضل والسؤدد والرياسة والامامة، ظاهر الجود في الخاصة والعامة، ومشهور الكرم في الكافة، معروفاً بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله][١٢].

١٥. قال ابن خلّكان: أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين الملقب بالباقر، أحد الأئمة الاثني عشر... وكان الباقر عالما سيداً كبيراً[١٣].

١٦. قال أحمد بن حجر: وارثه ـ أي وارث الإمام زين العابدين ـ منهم عبادة وعلماً، وزهادة ابو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض، أي شقها وأثار مخبّآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم

واللطائف، ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة، أو فاسد الطينة والسريرة؛ ومن ثمّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله. وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين. وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنّه قال له ـ وهو صغير ـ: رسول الله صلى الله عليه وآله يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً، والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فاذا أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام[١٤].

١٧.قال محمد أمين البغدادي السويدي: لم يظهر عن أحد من أولاد الحسين من علم الدين والسنن والسير وفنون الأدب، ما ظهر عن أبي جعفر(رضي الله عنه)[١٥].

مظاهر من شخصية الإمام محمد الباقر عليه السلام:

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة. حيث تميّز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الانسان. ولقد احتاط النبي صلى الله عليه وآله كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمته، ولم يرض أن تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب، فقد أراد لها العزّة والكرامة، وأراد أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فأولى مسألة الخلافة والامامة المزيد من اهتمامه، ونادى بها اكثر من أية قضية أُخرى من القضايا الدينية لأنّها القاعدة الصلبة لتطور أية أُمة في مجالاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية، وقد خصّ بها الأئمة الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا في أي حال من الأحوال لأية نزعة مادية، وإنما آثروا طاعة الله ومصلحة الأُمة على كل شيء. وكان الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام جامعاً للكمالات الانسانية في سيرته وسلوكه، فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين.وما دوّنته كتب التاريخ من فضائله الجمّة هي غيض من فيض، ونشير إلى شيء يسير منها تباعاً:

حلمه:

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر عليه السلام فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء الى من ظلمه واعتدى عليه، وانما كان يقابله بالبر والمعروف، ويعامله بالصفح والاحسان، وقد رووا صوراً كثيرة عن عظيم حلمه، كان منها:

إن رجلاً كتابياً هاجم الإمام عليه السلام واعتدى عليه، وخاطبه بمرّ القول:

((أنت بقر !)) فلطف به الإمام، وقابله ببسمات طافحة بالمروءة قائلاً: (لا أنا باقر) وراح الرجل الكتابي يهاجم الإمام قائلاً: أنت ابن الطبّاخة !)) فتبسّم الإمام، ولم يثره هذا الاعتداء بل قال له: ذاك حرفتها)). ولم ينته الكتابي عن غيّه، وإنما راح يهاجم الإمام قائلاً: أنت ابن السوداء الزنجية البذية !)) ولم يغضب الإمام عليه السلام، وإنما قابله باللطف قائلاً: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك)). وبهت الكتابي، وانبهر من أخلاق الإمام عليه السلام التي ضارعت أخلاق الأنبياء. فأعلن إسلامه(١٦).

صبره:

لقد كان الصبر من الصفات الذاتية للأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام فقد صبروا على مكاره الدهر، ونوائب الأيام، وصبروا على تجرّع الخطوب التي تعجز عن حملها الجبال، فقد استقبل الإمام الحسين عليه السلام على صعيد كربلاء أمواجاً من المحن الشاقة التي تذهل كل كائن حي، مترنّماً بقوله عليه السلام:(صبراً على قضائك يا رب، لا معبود سواك).

وصبر الإمام الباقر عليه السلام كآبائه على تحمل المحن والخطوب. وإليك بعض تلك المحن:

١- انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين، وإعلان سبّهم على المنابر والمآذن، وهو عليه السلام يسمع ذلك، ولا يتمكن أن ينبس ببنت شفة فصبر وكظم غيظه، وأوكل الأمر إلى الله الحاكم بين عباده بالحق.

٢- ومن بين المحن الشاقة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت عليهم السلام وملاحقتهم تحت كل حجر ومدر وقتلهم بأيدي الجلادين من عملاء السلطة الأموية، وهو لا يتمكن أن يحرك ساكناً، وقد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة، ورفضت كل طلب له في شأن شيعته.

٣- وروى المؤرخون عن عظيم صبره انه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، فأسرع إليه بعض مواليه فأسرّ إليه بشيء فقال عليه السلام:

(الحمد لله على ما أعطى، وله ما أخذ، إنْهَهُم عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها: لا ضير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع).

ورجع إلى حديثه، فتهيّب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: إنه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات[١٧].

٤- وروي أيضاً: أنه كان للإمام عليه السلام ولد وكان أثيراً عنده فمرض فخشي على الإمام لشدة حبه له، وتوفي الولد فسكن صبر الإمام، فقيل له: خشينا عليك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجاب وهو مليٌّ بالاطمئنان والرضا بقضاء الله قائلاً: (إنّا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب)[١٨].

لقد تسلّح الإمام عليه السلام بالصبر أمام نوائب الدنيا وقابل كوارث الدهر بإرادة صلبة، وإيمان راسخ، وتحمّل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسباً في ذلك الأجر عند الله تعالى.

كرمه وسخاؤه:

الكرم من أوضح الفضائل والمكارم لأئمة أهل البيت عليهم السلام فقد بسطوا أيديهم بسخاء نادر إلى الفقراء والسائلين، وفيهم يقول الشاعر[١٩].

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم ... لوجدته منهم على أميال

إن جئتهم أبصرت بين بيوتهم ... كرماً يقيك مواقف التسآل

نور النبوة والمكارم فيهم ... متوقد في الشيب والأطفال[٢٠]

لقد فطر الإمام محمّد الباقر عليه السلام على حب الخير وصلة الناس وإدخال السرور عليهم.

أ - إكرامه الفقراء: ومن معالي أخلاقه أنه كان يبجّل الفقراء، ويرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذلّ الحاجة، ويقول المؤرخون: انه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له: يا سائل خذ هذا، وإنما يقولون له: يا عبد الله بورك فيك[٢١] وقال: سمّوهم بأحسن أسمائهم[٢٢].

ب ـ **عتقه العبيد:** وكان الإمام الباقر عليه السلام شغوفاً بعتق العبيد، وإنقاذهم من رقّ العبودية، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً[٥] وكان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته[٢٣].

ج ـ **صلته لأصحابه:** وكان أحب شيء إلى الإمام عليه السلام في هذه الدنيا صلته لإخوانه فكان لا يمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمّليه، وقد عهد لابنه الإمام الصادق عليه السلام أن ينفق من بعده على أصحابه وتلاميذه ليتفرّغوا إلى نشر العلم وإذاعته بين الناس[٢٤].

د ـ **صدقاته على فقراء المدينة:** وكان الإمام عليه السلام كثير البر والمعروف على فقراء يثرب، وقد أحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية الآف دينار[٢٥] وكان يتصدق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول: (الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيام)[٢٦].

المبحث الأول

الإمام محمّد الباقر عليه السلام في ظلّ جدّه وأبيه عليهما السلام

مرّ الإمام الباقر عليه السلام بمرحلة رافقت الكثير من الأحداث والظواهر في ظلّ جده وأبيه عليهما السلام ويمكن تلخيصها بالشكل التالي:

١- عاش الإمام الباقر عليه السلام في ظلّ جدّه الحسين عليه السلام منذ ولادته وحتى الرابعة من عمره الشريف وقد مكنه ذلك من الإطلاع على الأحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية وإدراك طبيعة سيرها وفهم اتجاه حركتها بما أُوتي من ذكاء وفهم منذ صباه.

لقد عاش الإمام الباقر عليه السلام في مقتبل عمره حادثة مصرع أعمامه وأهل بيته الطاهرين وشاهد بأُم عينيه ملحمة عاشوراء ومقتل جدّه الحسين عليه السلام وأُخذ مأسوراً الى طواغيت الكوفة والشام وشارك سبايا أهل البيت عليهم السلام فيما جرى عليهم من المحن والمصائب الأليمة التي تتصدّع لها القلوب.

كما استمع إلى أقوال أبيه الساخنة وهو يخاطب الطاغية المتغطرس يزيد في الشام والتي كان منها قوله عليه السلام: يا يزيد! ومحمد هذا جدي أم جدّك ؟ فإن زعمت أنه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدّي فلِمَ قتلت عترته ؟ ! !)[٢٧].

٢- وعاصر الإمام الباقر عليه السلام في سنة (٦٣هـ) واقعة الحرّة التي ثار فيها أهل المدينة على حكم يزيد وهو في السادسة من عمره الشريف، حيث شاهد نقض أكابر أهل المدينة وفقهائها لبيعة يزيد الفاجر[٢٨] ورأى مدينة جدّه عندما أباحها يزيد لجيشه الجاهلي ثلاثة أيّام متواليات يقتلون أهلها، وينهبون أموالهم ويهتكون أعراضهم[٢٩].

٣- عاصر الإمام الباقر عليه السلام في هذه المرحلة من حياته الانحرافَ الفكريَ الذي تسبب الأُمويّون في إيجاده مثل بثّهم للعقائد الباطلة كالجبر والتفويض والإرجاء خدمةً لسلطانهم؛ لأن هذه المفاهيم تستطيع أن تجعل الأُمة مستسلمة للحكام الطغاة ما دامت تبرّر طغيانهم وعصيانهم لأوامر الله ورسوله.

٤- ومن الظواهر التي عاصرها الإمام محمّد الباقر عليه السلام وهو في ظلّ أبيه السجّاد عليه السلام ظاهرة الانحراف السياسي وتتمثل في تحويل الأُمويين للخلافة إلى ملك عضوض يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويوزّعون فيه المناصب الحكومية على ذويهم وأقاربهم.

لقد عاش عليه السلام محنة عداء الأُمويين للعلويين والذي تمثل في ظاهرة سبّهم لجدّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر طيلة ستة عقود.

٥- ومن الأحداث البارزة في حياة الإمام الباقر عليه السلام توالي الثورات المسلحة ضد الحكم الأُموي بعد واقعة كربلاء الخالدة، ففي سنة (٦٣هـ) ثار أهل المدينة في سنة (٦٥هـ) ثار التوابون، وفي سنة (٦٦هـ) ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وثار الزبيريون، وفي سنة (٧٧هـ) ثار المطرّف بن المغيرة بن شعبة، وفي سنة (٨١هـ) تمرّد عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث على حكومة عبد الملك بن مروان[٣٠].

٦ ـ وانتشرت في هذه الفترة ظاهرة وضع الحديث المؤلمة فقد ركّز الأُمويون على هذه الأداة لخدمة سلطانهم، حتّى روى ابن طرفة المعروف بنفطويه في تأريخه أن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة كانت في أيام بني أُميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنهم يُرغمون أُنوف بني هاشم[٣١].

٧- أما الانحراف الأخلاقي والاجتماعي فقد استشرى في أوساط الأُمة حيث اشتهر يزيد بن معاوية بفسقه إذ كان يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والقرود ويقضي

أوقاته بين المغنّين والمغنّيات وشاع عنه ذلك وعرفه عامّة الناس. وكان مروان بن الحكم أيضاً فاحشاً بذيئاً، كما كان أولاده وأحفاده على شاكلته(٣٢).

وأشاع الأُمويّون بين المسلمين روح التعصّب فقرّبوا العرب وأبعدوا غير العرب وأثاروا الشعوبية فمزّقوا بذلك وحدة الصف الإسلامي وأثاروا الأحقاد وزرعوا بذور الشر في قلوب أبناء المجتمع الاسلامي.

٨- وعاش الإمام الباقر عليه السلام في هذه المرحلة من حياته في ظلّ سيرة أبيه عليه السلام بكل وجوده الذي كان يركز نشاطه على إعادة بناء المجتمع الإسلامي وتشييد دعائم العقيدة الاسلامية القويمة، حيث كان يحاول الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال بثّ القيم العقائدية والأخلاقية عبر الأدعية وتوجيه رسائل الحقوق وما شابه ذلك صياغة كيان الجماعة الصالحة التي كان عليها أن تتولى عمليّة التغيير في المجتمع الذي راح يتردّى باستمرار.

وكان يشارك أباه السجّاد عليه السلام في أهدافه وخطواته وأساليبه المتعددة في المرحلة التي استغرقت ثلاثة وثلاثين عاماً والتي تمثّلت في الدعاء والانفاق والعتق والتربية المباشرة للرقيق والأحرار باعتبارها نشاطاً بارزاً للإمام زين العابدين عليه السلام خلال هذه المرحلة.

٩- وقف الإمام الباقر عليه السلام مواقف أبيه من الثورات والحركات المسلحة التي كانت تهدف إلى إسقاط النظام الفاسد إذ كان يرشدها ويقودها بصورة غير مباشرة من دون أن يعطي للحكام أي دليل يدل على التنسيق من الإمام عليه السلام مع الثوّار ضد الحكم الأموي الغاشم.

١٠- وكان للإمام الباقر عليه السلام دور بارز وهو في ظلّ أبيه في حركته لتأسيس صرح العلم والمعرفة الاسلامية حيث كان يحضر المحافل العامة ليحدّث الناس ويرشدهم، كما كان يفسّر القرآن ويعلّم الناس الأحاديث النبويّة الشريفة ويثقّفهم بالسيرة النبويّة المباركة.

١١- ان التنصيص من الإمام السجّاد عليه السلام على إمامة ابنه الباقر يعود تأريخياً الى النصوص التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده ونصّت على إمامة اثني عشر إماماً بعد رسول الله كلهم من قريش وبني هاشم، وتداولها الصحابة والتابعون واستند اليها أهل البيت عليهم السلام.

ومن تلك النصوص التي ورد فيها اسم الإمام الباقر عليه السلام بشكل خاص هو النص الذي رواه جابر بن عبدالله الأنصاري وقد جاء في هذا النص ما يلي:

((...فقال: يا رسول الله وَمَنْ الائمة من ولد علي بن أبي طالب؟ قال: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثم الباقر محمد بن عليّ وستدركه يا جابر، فاذا أدركته فاقرأه منّي السلام[٣٣]

وجاء في نص آخر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: ((يولد لابني هذا ـ يعني الحسين ـ ابن يقال له: علي، وهو سيد العابدين... ويولد له محمد، اذا رأيته يا جابر فاقرأه عليه السلام منّي السلام، واعلم أنّ المهدي من ولده[٣٤]

وقد تناقل الائمة من أهل البيت عليهم السلام الوصية إماماً بعد إمام، فقد أوصى الإمام علي عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: ((يا بنيّ إنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي اليك، وأدفع اليك كتبي وسلاحي، كما أوصى اليّ ودفع اليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها الى ابنك محمد بن علي فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام[٣٥]

١٢- وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يوجّه الانظار الى امامة ابنه الباقر عليه السلام، ويستثمر الفرص لإعلانها أمام أبنائه أو بعض أبنائه أو خاصّته وثقاته، يصرّح تارة بها ويلمّح إليها تارة اُخرى.

فحينما سأله ابنه عمر عن سرّ اهتمامه بالباقر عليه السلام أجابه: ((انّ الإمامة في ولده الى أن يقوم قائمنا عليه السلام فيملأها قسطاً وعدلاً، وانه الإمام أبو الأئمة[٣٦].

وعن الحسين ابن الإمام زين العابدين عليهما السلام قال: سأل رجل أبي عليه السلام عن الائمة، فقال: ((اثنا عشر سبعة من صلب هذا، ووضع يده على كتف أخي محمد[٣٧].

وكان يصرّح لابنه الباقر عليه السلام بامامته ويقول له: ((يا بنيّ انّي جعلتك خليفتي من بعدي[٣٨].

وروي عن أبي خالد أ نّه قال: قلت لعليّ بن الحسين: من الإمام بعدك ؟ قال: ((محمّد

ابني يبقر العلم بقراً[٣٩].

وفي مرضه الذي توفي فيه سأله الزهري قائلاً: فإلى من نختلف بعدك؟ فأجاب عليه السلام: ((يا أبا عبد الله الى ابني هذا ـ وأشار الى محمد ابنه ـ انه وصيّي ووارثي وعيبة علمي ومعدن العلم وباقر العلم))، فقال له الزهري: يا ابن رسول الله هلاّ أوصيت إلى أكبر اولادك؟ فقال عليه السلام: ((يا أبا عبد الله ليست الامامة بالصغر والكبر، هكذا عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا وجدنا مكتوباً في اللوح والصحيفة[٤٠].

وفي أيامه الأخيرة جمع الإمام زين العابدين عليه السلام أولاده: محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيد والحسين، وأوصى الى ابنه محمد... وجعل أمرهم اليه[٤١].

وفي الساعات الأخيرة من حياته التفت عليه السلام الى ولده وهم مجتمعون عنده، ثم التفت الى ابنه الباقر عليه السلام فقال: ((يا محمد هذا الصندوق اذهب به الى بيتك)). اما أنه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكن كان مملوءاً علماً[٤٢].

الفصل الأول

جهاد أهل البيت عليهم السلام ودور الإمام الباقر عليه السلام

ترتكز العملية التربوية على ثلاثة عناصر أساسية هي: المربي والنظام التربوي والمتربّي. وحينما تفتقد العملية التربوية المربّي الكفوء أو النظام التربوي الصالح فإنها سوف تنحرف ولا تؤتي ثمارها الصالحة.

وقد جاء الإسلام ليربّي المجتمع البشري بقيادة الرسول الخاتم المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وخطى النبي صلى الله عليه وآله في طريق التربية الشاق خطوات كبيرة، واستطاع في ظلّ الشريعة الإسلامية ونظام الإسلام التربوي أن يربّي من تلك الجماعات الجاهلية أمة صالحة ورشيدة.

ولكن فقدت الأمة الإسلامية المربّي الكفوء حين غادرها الرسول صلى الله عليه وآله إلى ربّه، وبهذا انهدم العنصر الأوّل من عناصر التربية الثلاثة.

وكان انهدام هذا العنصر كفيلاً بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن مَن تزعّم قيادة التجربة بعد النبي صلى الله عليه وآله كفوءاً لها ككفاءة النبي نفسه، علماً وعصمةً ونزاهةً وقدرةً وشجاعةً وكمالاً.

أجل؛ لقد تزعّم التجربة مَن لم يكن معصوماً ولا منصهراً في مفاهيم الرسالة ولا قادراً على حفظ الأمة من الانحراف عن الخط الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وآله لها، ذلك الانحراف الذي لم يعرف المسلمون مدى عمقه ومدى تأثيره السلبي على الدولة والأمة والشريعة على طول الخط ولعلّهم اعتبروه تغييراً في شخص القائد لا تغييراً في خط القيادة.

وقد قام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بدور جبّار لصيانة الإسلام والحفاظ على التجربة الإسلامية وعلى دولة الرسول وحاولوا جهد إمكانهم حفظ الأمة المسلمة من التمادي في الانحراف والانهيار، وعملوا بشكل عام على خطّين رئيسين للوقوف بوجه هذا الانحراف الكبير الذي لم يدرك إلاّ الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار مدى عمقه وخطورته على الشريعة والدولة والأمة جميعاً.

والخطّان الرئيسان اللذان عمل الأئمة عليهم السلام عليهما وكان عليهم أن يوظّفوا لذلك نشاطهم يتمثّلان في:

١- خط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد وقوع التجربة، بأيدي أناس غير مؤهّلين لقيادتها، وإعطائها القدر الكافي من المقومات لكي تواصل مسيرتها في الاتجاه الصحيح، وبقدم راسخة.

٢- خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وإرجاع القيادة الكفوءة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية ولتتلاحم الأمة والمجتمع مع الدولة والقيادة الرشيدة(٤٣).

أما الخط الثاني فكان على الأئمة الراشدين أن يقوموا له بإعداد طويل المدى، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب مع مجموعة القيم والأهداف والأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسم الإسلام القيّم وباسم الله المشرّع للإنسان تشريعاً يوصله إلى كماله اللائق به.

ومن هنا كان رأي الأئمة الأطهار في استلام زمام الحكم هو: أنّ الانتصار المسلّح الآنيّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر، بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وبعصمته إيماناً مطلقاً ويعيش جميع أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه

في مجال الحكم، ويحرس ما يحقّقه للأمة من مصالح أرادها الله لها في هذه الحياة. وأما الخط الأوّل فهو الخط الذي لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة والمؤاتية، وكان يمارسه الأئمة عليهم السلام حتى في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تسمح للإمام بخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد. إن هذا الخط يتمثّل في تعميق الرسالة فكرياً وروحيّاً وسياسياً في الأمة نفسها؛ بغية إيجاد تحصين كاف في صفوفها ضدّ الانهيار، بعد تردّي التجربة وسقوطها، وذلك بإيجاد قواعد واعية في الأمة وإيجاد روح رسالية فيها وإيجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في الأمة(٤٤).واستلزم عمل الأئمة الأطهار عليهم السلام في هذين الخطّين قيامهم بدور رسالي إيجابي وفعّال على طول الخط لحفظ الرسالة والأمة والدولة وحمايتها جميعاً باستمرار. وكلما كان الانحراف يشتدّ كان الأئمة الأطهار يتّخذون التدابير اللازمة ضد ذلك. وكلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمة عليهم السلام إلى تقديم الحلّ ووقاية الأمة من الأخطار التي كانت تهدّدها. وعلى هذا الأساس تنوّعت مجالات عمل الأئمة الطاهر ين عليهم السلام بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم، ومن حيث درجة ثقافة الأمة ومدى وعيها، ومدى إيمانها ومعرفتها بالأئمة عليهم السلام، ومدى انقيادها للحكام المنحرفين، ومن حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامي والدولة الإسلامية، ومن حيث درجة التزام الحكّام بالإسلام، ومن حيث نوع الأدوات التي كانوا يستخدمونها لدعم حكمهم وإحكام سيطرتهم على رقاب الأمة. فقد كان لائمة أهل البيت عليهم السلام نشاط مستمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفة، وقد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي، أو بالثورة المسلحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطراً ماحقاً، كثورة الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية وان كلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة ودعمها بشكل وآخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الكيانات الكافرة. وكان له معليهم السلام نشاط مستمر كذلك في مجال تربية الأمة عقائدياً وأخلاقياً وسياسيّاً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمة نشر الوعي والفكر الإسلامي وتصحيح الأخطاء الحاصلة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة أو التيارات السياسية المنحرفة أو

الشخصيّات العلمية المنحرفة التي كان الحكام الجائرون يستخدمونهم لدعم حكوماتهم. وكانت من جملة مهامّهم دعوة الناس إلى السير وراء القيادة الإلهية بعد الرسول عليه السلام والمتمثّلة في إمامة أهل البيت الأطهار، وتصعيد درجة معرفة الأمة والإيمان بهم والوعي اللازم تجاه إمامتهم وزعامتهم. هذا بالإضافة إلى نزول الأئمة عليهم السلام إلى ساحة الحياة العامة والارتباط بالأمة بشكل مباشر والتعاطف مع قطّاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت عليهم السلام على مدى قرون لم يحصلوا عليها صدفة، أو لمجرد الانتماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن يحظى بهذه المكانة عند الناس؛ لأن الأمة لا تمنح ولاءها لأحد مجاناً، ولا يملك أحدٌ قيادتها وميل قلوبها من دون عطاء سخيّ منه في مختلف مجالات الحياة، وخاصّة عند الأزمات، والمشاكل.

الفصل الثاني

وقائع وأحداث هامة في عصر الإمام الباقر عليه السلام

إذا أردنا أن نقف على ملامح المرحلة التي مارس فيها الإمام الباقر عليه السلام قيادته للأمة الإسلامية بعد والده الإمام زين العابدين عليه السلام وجب أن نقف على أهم الأحداث التي مهّدت لتلك المرحلة ونلاحظ مدى علاقتها بالإمام الباقر عليه السلام كمرشّح للقيادة في حياة والده وممارس لها بعد ذلك. لقد شُيّدت أسس الحكم الأموي المرواني أيام عبد الملك بن مروان باعتباره أوّل حاكم مقتدر للحكم المرواني. وقد رسمت إجراءاته السياسية ملامح المرحلة التي نريد دراستها. قال بعض المؤرخين: إن عبد الملك بن مروان قبل أن يتقلد الخلافة كان يظهر النسك والعبادة، فلما بشر بالملك كان بيده المصحف الكريم فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك، أو قال: هذا فراق بيني وبينك[٤٥].

ولقد اتصف عبد الملك بأخس الصفات وأحطها والتي كان من بينها:

١- الطغيان والجبروت: قال المنصور: كان عبد الملك جباراً لا يبالي ما صنع[٤٦] وكان فاتكاً لا يعرف الرحمة والعدل، وقد قال: في خطبته بعد قتله لابن الزبير: لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه[٤٧]، وهو أول من نهى عن الكلام

بحضرة الخلفاء.

٢- الغدر ونكث العهد: فقد أعطى الأمان لعمرو بن سعيد الأشدق على أن تكون الخلافة له من بعده إلا أنه غدر به، وقتله ورمى برأسه إلى أصحابه[٤٨] ولم يرع وشيجة النسب التي كانت تربطه بعمرو.

لقد خاف عبد الملك من الأشدق، إذ لو كان حياً لاتّخذ التدابير للقضاء على حكم بني مروان ولكن عبد الملك تغدّى به قبل أن يتعشى به عمر، وقد انتقم الله منه؛ لأنه كان جباراً مسرفاً في إراقة دماء المسلمين وإشاعة الخوف والرعب فيهم.

٣- القسوة والجفاء: حيث انعدمت من نفسه الرحمة والرأفة، حتى أنّه بالغ في إراقة الدماء وسفكها بغير حق، وقد اعترف بذلك هو حين قالت له أم الدرداء: بلغني أنك شربت الطِلى ـ يعني الخمر ـ بعد العبادة والنسك، فقال لها غير متأثم: (إي والله والدماء شربتها).

وقد نشر الثكل والحزن والحداد في بيوت المسلمين أيام حكمه الرهيب حتى أنّه خطب في يثرب بعد قتله لابن الزبير خطاباً قاسياً أعرب فيه عما كان يحمله في قرارة نفسه من القسوة والسوء قائلاً: (إني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلاّ بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم...)[٤٩].

من بدع عبد الملك: خاف عبد الملك أن يتصل ابن الزبير بأهل الشام فيفسدهم عليه فمنعهم من الحج، فقالوا له: أتمنعنا من الحج وهو فريضة فرضها الله، فقال: قال ابن شهاب الزهري انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس. وصرفهم بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام، وصيره إلى بيت المقدس وقد استغل الصخرة التي فيه، وروى فيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد وضع قدمه عليها حين صعوده إلى السماء فأقامها لهم مقام الكعبة فبنى عليها قبة وعلى فوقها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة[٥٠]. وانتقص عبد الملك سلفه من حكام بني أمية، وقد أدلى بذلك في خطابه الذي ألقاه في يثرب، إذ جاء فيه: (إني والله ما أنا بالخليفة، المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا بالخليفة المداهن

ـ يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون[٥١] ـ يعني يزيد). وعلّق ابن أبي الحديد على هذه الكلمات بقوله: (وهؤلاء سلفه وأئمته، وبشفعتهم قام ذلك المقام، وبتقدمهم وتأسيسهم نال تلك الرياسة، ولولا العادة المتقدمة، والأجناد المجندة والصنائع القائمة، لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام، وأقربهم إلى المهلكة إن رام ذلك الشرف...)[٥٢]. من جرائم عبد الملك: وأخطر عمل قام به عبد الملك توليته للسفّاك المعروف الحجّاج بن يوسف الثقفي، فقد عهد بأمور المسلمين إلى هذا الإنسان الممسوخ الذي اشتهر بقساوته وشهوته في إراقة الدماء.

لقد منحه عبد الملك صلاحيات واسعة النطاق، فجعله يتصرف في أمور الدولة حسب رغباته التي لم تكن تخضع إلاّ لمنطق البطش والاستبداد، وقد أمعن هذا الأثيم في النكاية بالناس، وقهرهم وإذلالهم، وقد خلق في البلاد الخاضعة لنفوذه جواً من الأزمات السياسية التي لا عهد للناس بمثلها. ونقم علماء المسلمين وخيارهم على الحجاج، وكان عمر بن عبد العزيز من الناقمين على الحجاج، والساخطين عليه، حتى قال فيه: (لو جاءت كل أمة بخبيثها، وجئنا بالحجاج لغلبناهم)[٥٣]. وقال عاصم: (ما بقيت لله عَزَّ وجَلَّ حرمة إلاّ وقد ارتكبها الحجاج. وقال طاووس: (عجبت لمن يسمي الحجاج مؤمناً)[٥٤]. وقال ابن عماد الحنبلي عنه: (سنة خمس وتسعين فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي في ليلة مباركة على الأمة... كان لا يصبر عن سفك الدماء وانه اكبر لذّاته وله مقحمات عظام). ولما أراد الحج ولّى على العراق شخصاً اسمه محمد، وقد خطب بين الناس فقال لهم: إني قد استعملت عليكم محمداً، وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بالأنصار فانه قد أوصى أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم...)[٥٥]. وقال الدميري: (كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أ نّ أكبرَ لذّاته إراقته للدماء، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره. وقد بالغ في قتل الناس بغير حق، فقد كان عدد من قتلهم صبراً ـ سوى من قتل في حروبه ـ مئة وعشرين ألفاً[٥٦] وقيل مئة وثلاثين ألفاً. وقد اعترف رسمياً بسفكه للدماء بغير حق فقد قال: (والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم مني)[٥٧]. وأنكر عليه عبد الملك إسرافه في ذلك إلا أنه لم يعن به[٥٨]. وقد وضع سيفه في رقاب القرّاء والعبّاد لأنهم أيدوا ثورة ابن الأشعث، وكان من جملة من قتلهم صبراً سعيد بن جبير أحد أبرز علماء الكوفة وزهادها، ولما بلغ الحسن البصري نبأ قتله قال: والله لقد

مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه[٥٩]. وحكم جماعة من أعلام المسلمين بكفره وإلحاده، منهم سعيد بن جبير النخعي، ومجاهد، وعاصم بن أبي النجود، والشعبي وغيرهم[٦٠]. وذلك لأنّ الحجاج قد استهان بالنبي العظيم صلى الله عليه وآله حتى فضّل عبد الملك ابن مروان عليه وذلك حين خاطب الله تعالى أمام الناس قائلاً: (أرسولك أفضل ـ يعني النبي ـ أم خليفتك ـ يعني عبد الملك؟[٦١]. وكان ينقم ويسخر من الذين يزورون قبر النبي صلى الله عليه وآله ويقول: (تبّاً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟!.وحفل حكم هذا الخبيث بالجرائم والموبقات فقد نكّل بشيعة آل البيت عليهم السلام وأذاع فيهم القتل، وأشاع في بيوتهم الثكل والحزن والحداد، في الوقت الذي كان عبد الملك قد كتب إليه: (جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب، وإني رأيت آل بني حرب قد سُلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي). ولكن الحجاج قد تعرض للعلويين وشيعتهم فانطلقت يده في الفتك بهم وسفك دمائهم حتى أن الرجل كان أحب إليه أن يقال له زنديق من أن يقال له من شيعة علي[٦٢]. وقال المؤرخون: إن خير وسيلة للتقرب إلى الحجاج كانت انتقاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عنده فقد أقبل إليه بعض المرتزقة من أوغاد الناس وأجلافهم وهو رافع عقيرته قائلاً: (أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج...). فسرّ الحجاج بذلك وقال: (للطف ما توسلت به، فقد وليتك موضع كذا)[٦٣].

وعلى أي حال فقد أصبح أتباع أهل البيت عليهم السلام في عهد هذا الجلاّد طعمة للسيوف والرماح، إذ نكّل بهم وقتلهم ولاحقهم تحت كل حجر ومدر وأودع الكثيرين منهم السجون، وأثار جواً من الإرهاب، لم نشهد له مثيلاً حتى في أيام الطاغية زياد بن أبيه وابنه عبيد الله.

وامتُحنت الكوفة في أيام هذا الجبار كأشد ما تكون المحنة، فقد أخذ يقتل على الظنة والتهمة، وخطب في الكوفة خطاباً قاسياً، لم يحمد الله فيه، ولم يثن عليه، ولم يصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وكان من جملة ما قال فيه:

(يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق والمراق ومساوئ الأخلاق، إن أمير المؤمنين ـ يعني عبد الملك ـ فتل كنانته فعجمها عوداً عوداً، فوجدني من أمرّها عوداً، وأصعبها كسراً،

فرماكم بي، وانه قلدني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف[٦٤] ثم قال: إني والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني أنا صاحبها كأني أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى[٦٥] ثم أنشد:

أنـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا مـــتى أضـــع العمامـــة تعرفـــوني

ومن جرائم هذا الطاغية: أنه قاد جيشاً مكثفاً إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، وقد حاصر البيت الحرام ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وقد أمر برمي الكعبة المشرفة فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق.

واتخذ الحجّاج سجوناً لا تقي من حر ولا برد، وكان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب، حتى قال المؤرخون: إنه مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفاً مجردات وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[٦٦] وأُحصي في محبسه ثلاث وثلاثون ألف سجين لم يحبسوا في دَيْن ولا تبعة وكان يقول لأهل السجن: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٦٧] تشبيهاً لهم بأهل النار، وتشبيهاً لنفسه بالخالق تعالى، عتواً وتكبراً منه.

وتلقى المسلمون نبأ وفاته بمزيد من السرور والأفراح، وكانت الشتائم تلاحقه من يوم وفاته حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المبحث الثاني

الحياة الفكرية والسياسية في عهد الامام الباقر عليه السلام

أولاً: الامام الباقر عليه السلام ودوره في اصلاح الواقع الفاسد:

على الرغم من انحراف الحكّام وأجهزتهم الإدارية والسياسية عن المبادئ الثابتة التي أرسى دعائمها القرآن الكريم والسنّة النبويّة؛ إلاّ أنّ القاعدة الفكرية والتشريعية للدولة بقيت متبنّاةً من قبل الحاكم وأجهزته في مظاهرها العامة، وعلى ضوء ذلك فإنّ دور الإمام عليه السلام كان دوراً إصلاحياً لإعادة الحاكم وأجهزته وإعادة الأمة إلى الاستقامة في العقيدة والشريعة، وجعل الإسلام بمفاهيمه وقيمه هو الحاكم على الأفكار والعواطف والمواقف. وكان أسلوب الإمام عليه السلام الإصلاحي متفاوتاً تبعاً لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به،

وبالحكم القائم، وبالأمة المسلمة. لقد كان الإمام عليه السلام مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي. وما زار المدينة أحد إلاّ عرّج على بيته يأخذ من فضائله وعلومه، وكان يقصده كبار رجالات الفقه الإسلامي: كسفيان الثوري، وسفيان بن عينة، وأبي حنيفة. وكان دوره عليه السلام في الإصلاح يتركّز على اتجاهين متزامنين: الاتجاه الأول: التحرك في أوساط الأمة وعموم الناس، بما فيهم المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى، فضلاً عن التحرك على الحكّام وأجهزتهم لإعادتهم إلى خطّ الاستقامة أو الحدّ من انحرافاتهم وحصرها في نطاق محدود. الاتجاه الثاني: بناء الجماعة الصالحة لتقوم بدورها في إصلاح الأوضاع العامة للأمة وللدولة طبقاً للأسس والقواعد الثابتة التي أرسى دعائمها أهل البيت عليهم السلام بما ينسجم مع القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة.

محاور الحركة الإصلاحية العامّة للإمام الباقر عليه السلام

أوّلاً: الإصلاح الفكري والعقائدي: من الأزمات التي خلّفتها سيرة الحكّام السابقين هي أزمة ارتباك المفاهيم وما رافقها من تقليد وسطحية في الفكر، فلم تتجلّ حقيقة التصور الإسلامي عند الكثير من المسلمين لكثرة التيارات الهدّامة ونشاطها في تحريف المفاهيم السليمة وتزييف الحقائق، فكان دور الإمام عليه السلام هو حمل النفوس على التمحيص لتمييز ما هو أصيل من العقيدة عمّا هو زيف، وعلى تحكيم الأفكار والمفاهيم الأصيلة في عالم الضمير وعالم السلوك على حد سواء، والاستقامة على المنهج الذي يريده الله تعالى للإنسان. وقد مارس الإمام عليه السلام عدة نشاطات لإصلاح الأفكار والعقائد، نشير إلى أهمّها كما يلي:

١- الردّ على الأفكار والعقائد الهدّامة والمذاهب المنحرفة: وجد المنحرفون لأفكارهم وعقائدهم الهدّامة أوساطاً تتقبّلها وتروّج لها - جهلاً أو طمعاً أو تآمراً على الإسلام الخالد - وفي عهد الإمام الباقر عليه السلام نشطت حركة الغلاة بقيادة المغيرة بن سعيد العجلي. روى علي بن محمد النوفلي أن المغيرة استأذن على أبي جعفر عليه السلام وقال له: أخبر الناس أنّي أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق، فزجره الإمام عليه السلام زجراً شديداً وأسمعه ما كره فانصرف عنه، ثم أتى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية فقال له مثل ذلك، فوثب عليه، فضربه ضرباً شديداً أشرف به على الموت، فلمّا برئ

أتى الكوفة وكان مشعبذاً فدعا الناس إلى آرائه واستغواهم فاتّبعه خلق كثير[٦٨].

واستمرّ الإمام عليه السلام في محاصرة المغيرة والتحذير منه وكان يلعنه أمام الناس ويقول:(لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا)[٦٩].

ولعن عليه السلام بقية رؤساء الغلاة ومنهم بنان التبّان، فقال:(لعن الله بنان التبّان، وإن بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي)[٧٠].

وكان عليه السلام يحذّر المسلمين وخصوصاً أنصار أهل البيت عليهم السلام من أفكار الغلو، ويرشدهم إلى الاعتقاد السليم، بقوله: (لا تضعوا عليّاً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله)[٧١].

وكان عليه السلام يخاطب أنصاره قائلاً: (يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى: يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي)[٧٢].

وحذّر عليه السلام من المرجئة ولعنهم حين قال: (اللهمّ العن المرجئة فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة)[٧٣].

وكان عليه السلام يحذّر من أفكار المفوضة والمجبرة. ومن أقواله في ذلك:(إيّاك أن تقول بالتفويض! فإنّ الله عَزَّ وجَلَّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً)[٧٤].

وفي عرض هذا الردّ القاطع الصريح كان الإمام عليه السلام يبيّن الأفكار السليمة حول التوحيد لكي تتعرف الأمة على عقيدتها السليمة.

وكان ممّا ركّز عليه الإمام عليه السلام في هذا المجال بيان مقومات التوحيد ونفي التشبيه والتجسيم لله تعالى.

قال عليه السلام: (يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنى كلّ شيء، ويا ذا الذي ليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى، ولا فوقهنّ، ولا بينهنّ ولا تحتهنّ إله يعبد غيره)[٧٥]. وفي جوابه عليه السلام للسائلين عن جواز القول بأنّ الله موجود، قال:(نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه)[٧٦].

وقال عليه السلام: (إن ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع له مكاناً) (٧٧). كما ركّز الإمام الباقر عليه السلام على العبودية الخالصة لله ونهى عن الممارسات التي تتضمّن الشرك بالله تعالى. قال عليه السلام:(لو أن عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله عزّ جلّ والدار الآخرة، فأدخل فيه رضى أحد من الناس كان مشركاً)(٧٨). كما دعا إلى الانقطاع الكامل لله تعالى بقوله:(لا يكون العبد عابداً لله حق عبادته؛ حتى ينقطع عن الخلق كلّه إليه). ونهى الإمام عليه السلام عن التكلم في ذات الله تعالى، وذلك لأنّ الإنسان المحدود لا يحيط بغير المحدود فلا ينفعه البحث عن الذات اللامحدودة إلاّ بُعداً، ومن هنا كان التكلم عن ذاته تعالى عبثاً لا جدوى وراءه، فنهى عليه السلام عن ذلك، وحذّر منه بقوله:(إن الناس لا يزال لهم المنطق، حتى يتكلموا في الله، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا اله إلاّ الله الواحد الذي ليس كمثله شيء) . وممّا ركّز عليه الإمام الباقر عليه السلام الردع من اتّباع المذاهب المنحرفة والأفكار الهدّامة هو بيان عاقبة أهل الشبهات والأهواء والبدع، واستهدف الإمام عليه السلام من التركيز على عاقبة المنحرفين فكرياً وعقائدياً إبعاد المسلمين عن التأثر بهم، وإزالة حالة الأنس والألفة بينهم وبين الأفكار والعقائد المنحرفة. قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: هم النصارى والقسيسون والرهبان وأهل الشبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع.

٢- الحوار مع المذاهب والرموز المنحرفة

يعتبر الحوار إحدى الوسائل التي تقع في طريق إصلاح الناس، حيث تزعزع المناظرة الهادفة والحوار السليم الأفكار والمفاهيم المنحرفة.

من هنا قام الإمام عليه السلام بمحاورة بعض رؤوس المخالفين، لتأثيرهم الكبير على أتباعهم لو صلحوا واستقاموا على الحقّ. وإليك بعض مناظراته:

مع علماء النصارى: حينما أخرج هشام بن عبد الملك الإمام عليه السلام من المدينة إلى الشام كان عليه السلام يجلس مع أهل الشام في مجالسهم، فبينا هو جالس وعنده جماعة من الناس يسألونه، اذ نظر إلى النصارى يدخلون في جبل هناك، فسأل عن حالهم، فأُخبر أنهم يأتون

عالماً لهم في كل سنة في هذا اليوم يسألون عمّا يريدون وعمّا يكون في عامهم، وقد أدرك هذا العالم أصحاب الحواريّين من أصحاب عيسى عليه السلام، فقال الإمام عليه السلام: فهلمّ نذهب إليه؟ فذهب عليه السلام إلى مكانهم، فقال له النصراني: أسألك أو تسألني؟ قال عليه السلام: تسألني، فسأله عن مسائل عديدة حول الوقت، وحول أهل الجنّة، وحول عزرة وعزير، فأجابه عليه السلام عن كل مسألة.

فقال النصراني: يا معشر النصارى، ما رأيت أحداً قطّ أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردّوني فردّوه إلى كهفه، ورجع النصارى مع الإمام عليه السلام. وفي رواية: أنّه أسلم وأسلم معه أصحابه على يد الإمام عليه السلام [٧٩]. مع هشام بن عبد الملك: ناظره هشام بن عبد الملك في مسائل متنوعة تتعلق بمقامات أهل البيت عليهم السلام، وميراثهم لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله، وادعاء الإمام علي عليه السلام علم الغيب، فأجابه الإمام عليه السلام عن مسائله المتنوعة وناظره في إثبات مقامات أهل البيت عليهم السلام مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فلم يستطع هشام أن يردّ عليه، وناظره في مواضع أخرى، فقال له هشام: (أعطني عهد الله وميثاقه ألاّ ترفع هذا الحديث إلى أحد ما حييت)، قال الإمام الصادق عليه السلام:فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه [٨٠]. وقد ذكرنا تفصيل المناظرتين في بحث سابق فراجع. مع الحسن البصري: قال له الحسن البصري: جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله تعالى. وبعد حوار قصير قال له عليه السلام: بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت؟ أم يُكذب عليك؟ قال الحسن: ما هو ؟ قال عليه السلام:زعموا أنّك تقول: إنّ الله خلق العباد ففوّض إليهم أمورهم.

فسكت الحسن... ثمّ وضّح له الإمام عليه السلام بطلان القول بالتفويض وحذّره قائلاً: وإيّاك أن تقول بالتفويض، فإنّ الله عَزَّ وجَلَّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه، وهناً منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً).

وله عليه السلام مناظرات مع محمد بن المنكدر ـ من مشاهير زهاد ذلك العصر ـ ومع نافع بن الأزرق أحد رؤساء الخوارج، ومع عبد الله بن معمر الليثي، ومع قتادة بن دعامة البصري[٨١] واحتجاجات لا يتحمّل شرحها هذا المختصر.

ثانيا: الامام الباقر عليه السلام ودوره في بناء الجماعة الصالحة

إن إصلاح الأوضاع الاجتماعية يتوقف على وجود جماعة صالحة تقوم بمهمة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الإسلام والى المنهج السليم الذي تبنّاه أهل البيت عليهم السلام، استناداً إلى الأوامر الإلهية في تشكيل الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر. ولهذا سعى الأئمة المعصومون عليهم السلام إلى بناء الجماعة الصالحة ورسم المعالم والملامح اللازمة لها لتكون الطليعة الواعية المخلصة لتبنّي مسؤولية الإصلاح والتغيير طبقاً لمنهج أهل البيت عليهم السلام. وقد شرع أهل البيت عليهم السلام في تكوين الجماعة الصالحة منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه إلى جانب تبليغه العام قام بإعداد مجموعة صالحة تهتم بالدعوة إلى الله على بصيرة ووعي وأبدى لهم عناية فائقة حيث خصص لهم أوقاتاً خاصة، وكلّف الإمام عليّاً عليه السلام بإعداد آخرين. واستمر الإمام علي عليه السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله بانجاز هذه المهمّة، وكرّس جهوده لتهيئة الطليعة والكوادر الرسالية. وقد أثمرت نشاطاته حينما عادت له السلطة، وكان لتلك الكتلة الصالحة دور كبير في إخماد الفتن الداخلية وتقرير منهج أهل البيت عليهم السلام في الواقع العملي. وواصل الإمام الحسن عليه السلام مسيرة جده وأبيه، حيث كان أحد بنود الهدنة مع معاوية هو إيقاف الملاحقة لأنصاره وأنصار أبيه، وتفرّغ الإمام عليه السلام بعد الهدنة لتوسيع قاعدة الجماعة الصالحة لتقوم بأداء دورها في الوقت والظرف المناسب وبالفعل قامت بالتصدي للانحراف الأُموي في عهد يزيد، وشاركت مع الإمام الحسين عليه السلام في حركته المسلحة للإطاحة بالحكم الجائر. وكان للجماعة الصالحة دور كبير في قيادة الثورات المسلحة ضد الحكم الأُموي على طول الخط، كثورة أهل المدينة، وثورة المختار، وثورة التوابين، التي أعقبت ثورة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية وكان لمجموعها دور كبير في إرساء دعائم منهج أهل البيت عليهم السلام وتعميقه وتجذيره في العقول والقلوب والممارسات السلوكية والتعجيل في زوال الحكومات الجائرة. واستمر الإمام زين العابدين عليه السلام في استثمار الفرص المتاحة لتكملة البناء الذي شيّده من سبقه من الأئمة الأطهار، فقد تمتع بحرية نسبية في إعداد الطليعة الرسالية في عهد عبد الملك بن مروان، لتكون ذراعاً لحركة أهل البيت عليهم السلام في عهده. واستمر الإمام الباقر عليه السلام في تشييد هذا الصرح ورفده بعناصر جديدة لتستمر الحركة الإصلاحية على منهج أهل البيت عليهم السلام وتقريره في واقع الحياة، فقد ربّى عليه السلام مجموعة من الفقهاء المصلحين وعلى رأسهم: زرارة بن أعين، ومعروف بن خربوذ، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية العجلي. وربّى طبقة ثانية التي تلي المتقدمين ومنهم: حمران بن أعين، وإخوته، وعبد الله بن ميمون

القدّاح، ومحمد بن مروان الكوفي، وإسماعيل بن الفضل الهاشمي، وأبو هارون المكفوف وآخرون[٨٢]. وتنوّعت مهمة الجماعة الصالحة، فمنهم الفقهاء، ومنهم قادة الثورات، ومنهم المصلحون الذين كانوا يجوبون الأمصار لتعميق منهج أهل البيت عليهم السلام في القلوب والنفوس. وفيما يلي سوف نستعرض بعض مظاهر حركة الإمام عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة، وإعدادها إعداداً شمولياً بشمول الإسلام وشمول منهج أهل البيت عليهم السلام لجميع مرافق الحياة الإنسانية. وقد أوضحنا أن المهمّة الأساسية للإمام الباقر عليه السلام بعد العقود الثلاثة من النشاط المستمر للإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الاتجاه هي رسم المعالم التفصيلية للجماعة الصالحة وبيان كل ما يلزم لتكوين المجتمع الإسلامي النموذجي في وسط التيارات المنحرفة التي ملأت الساحة الإسلامية العامّة، وهي إلى جانب كونها النموذج المطلوب للأمة المسلمة الرائدة تكون الذراع الحقيقي للأئمة عليهم السلام لإقرار الإسلام الشامل في المجتمع الإسلامي الآخذ بالتمادي في الانحراف والانهيار؛ إذ من خلالها يكون النشاط الحقيقي للإمام الباقر عليه السلام في مرحلته الخاصة التي تجلّت في رسم هذه المعالم وإقرارها وتربية الأجيال عليها. وهي المهمة التي اشترك فيها أبوه الإمام زين العابدين وابنه الإمام الصادق وحفيده الإمام الكاظم عليهم السلام. وقد لخصّنا هذا البحث الأساسي في عشر نقاط أساسية ترتبط بالجماعة الصالحة وتوضح معالمها الرئيسة.

أولاً: الإمام الباقر عليه السلام ومقومات الجماعة الصالحة

١- العقيدة السليمة

في خضم الأحداث والمواقف المتباينة والمتناقضة جراء تعدد التيارات الفكرية والعقائدية، واضطراب عقول الكثير من المسلمين، لابتعادهم عن إدراك أسس العقيدة السليمة، قام الإمام عليه السلام بدور كبير في بيان العقيدة السليمة للجماعة الصالحة ؛ لتقوم بدورها في إصلاح المفاهيم والأفكار، ونشر عقيدة أهل البيت عليهم السلام في مختلف الأوساط وعلى جميع المستويات. لقد بيّن عليه السلام الأسس العامة للتوحيد، فعن حريز بن عبد الله، وعبد الله بن مسكان قالا: قال أبو جعفر عليه السلام: (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ بهذه الخصال السبعة: بمشيّة، وإرادة، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة منهنّ فقد كفر)[٨٣]. وبيّن حقيقة التوحيد تمييزاً لعقيدة أهل البيت عليهم السلام عن العقائد الأخرى فقال عليه السلام: (لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق

الإيمان، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور في قضيته، بان من الأشياء وبانت الأشياء منه) (٨٤). وبيّن حدود الوصف لله تعالى فنهى عن التكلم في ذات الله وما يتفرع عنه من آراء ومفاهيم، فقال عليه السلام:(تكلموا فيما دون العرش، ولا تكلموا فيما فوق العرش، فانّ قوماً تكلموا في الله فتاهوا...). وبيّن عليه السلام معياري الإيمان والإسلام فقال:(الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل) (٨٥). وقال عليه السلام:(الإيمان ما كان في القلب، والإسلام ما عليه التناكح والتوارث وحقنت به الدماء، والإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان)). وبيّن الأصل الأساسي من أصول العقيدة بعد أصل التوحيد وهو الولاية والإمامة المجعولة من الله تعالى ؛ لأن الولي والإمام يقوم بدور الحجّة نيابة عن الله تعالى، وبيّن مصير من لا يتولّى من نصّبه الله تعالى.

٢- مرجعية أهل البيت عليهم السلام

إن المنهج الإسلامي هو منهج واقعي للحياة، بكل ما للحياة من تشكيلات وتنظيمات وأوضاع وقيم وأخلاق وآداب وعبادات وشعائر، وهو كمنهج نظري يراد تطبيقه في الواقع بحاجة إلى قدوة تجسّده في الواقع كي يقتدي بها الناس ليندفعوا أشواطاً إلى الأمام في مسيرة التنفيذ والتطبيق، ولهذا ركّز الإمام عليه السلام على القدوة الناطقة بالكتاب والسنّة وهم أهل البيت عليهم السلام تمييزاً عن غيرهم من الذين تنكبوا طريق الاستقامة وانحرفوا عن المنهج انطلاقاً من أهوائهم ومصالحهم التي تخدم السلاطين والحكّام وانفلاتاً من قيود العقيدة والشريعة. فقد أكّد الإمام عليه السلام على الولاية باعتبارها أهم أركان الإسلام فقال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية)(٨٦)، التي أوضحها في نص آخر بأنها الولاية لأهل البيت عليهم السلام(٨٧). وأورد الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله التي تؤكد على ولاية أهل البيت عليهم السلام ومرجعيتهم في الأمة، ومنها توجيه الأنظار إلى ولاية أول الأئمة أعني الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام متمثّلة بالولاء العاطفي له، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ما من مؤمن إلاّ وقد خلص وديّ إلى قلبه، وما خلص وديّ إلى قلب أحد إلاّ وقد خلص ودّ عليّ إلى قلبه، كذب يا علي من زعم أنه يحبّني ويبغضك) (٨٨). وفسرّ الآيات النازلة في حق أهل البيت عليهم السلام وبيّن مؤدّاها بشكل دقيق وهو مرجعية أهل البيت عليهم السلام في جميع شؤون الحياة فكرية وعاطفية وسلوكية.

ففي قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال عليه السلام: نحن أهل الذكر.

وفي قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، قال عليه السلام: نحن هم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، قال عليه السلام: نحن الأمة الوسط.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٨٩]، قال عليه السلام: أي مع آل محمد). وأمّا أحاديثه التي رواها عن رسول الله حول ولاية أهل البيت عليهم السلام ومرجعيتهم للأمة فمنها قوله صلى الله عليه وآله: (أنا رسول الله إلى النّاس أجمعين ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي من الله، يقومون في الناس فيكذّبونهم ويظلمونهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، ألا فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذّبهم، فليس مني ولا معي وأنا منه بريء)[٩٠].

٣- خصائص الانتماء لأهل البيت عليهم السلام

وبيّن الخصائص الولائية والسلوكية للجماعة الصالحة من حيث علاقاتهم فيما بينهم وعلاقاتهم مع الآخرين. فقال عليه السلام: (إنما شيعة عليّ: المتباذلون في ولايتنا المتحابّون في مودّتنا المتزاورون لإحياء أمرنا. الذين إذا اغضبوا لم يظلموا وإذا رضوا لم يسرفوا بركة على من جاوروا سلم لمن خالطوا)[٩١].

وقال أيضاً: (إنما شيعة عليّ: من لا يعدو صوتُه سمعَه، ولا شحناؤه بدنَه، لا يمدح لنا قالياً ولا يواصل لنا مبغضاً ولا يجالس لنا عائباً)[٩٢].

وقال أيضاً: (إنما شيعة عليّ: الحلماء العلماء، الذبل الشفاه، تعرف الرهبانية على وجوههم)[٩٣].

وقال أيضاً: (إنّما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ، والذي إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدّي إلى ما ليس له بحقّ) [٩٤].

وبيّن عليه السلام أسس التقييم الموضوعي لمن يريد إثبات صحة انتمائه للجماعة الصالحة. ومن هذه الأسس عرض الإنسان نفسه على كتاب الله. قال عليه السلام: (يا جابر، واعلم بأنّك لا تكون

لنا وليّاً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرّك ذلك. ولكن اعرض نفسك على كتاب الله ؛ فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر، فإنه لا يضرّك ما قيل فيك وإن كنت مبائناً للقرآن فما الذي يغرك من نفسك ؟!...)[٩٥].

والعلامة المميّزة لأفراد الجماعة الصالحة هي التزامهم بمبادئ القرآن الكريم وقيمه في مختلف مجالات الحياة الإسلامية، في العبادة والارتباط بالله تعالى، وفي العلاقات الاجتماعية، وقد بيّن ذلك بقوله عليه السلام ـ كما مرّ سابقاً ـ:

(فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلاّ بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء، وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام. وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير. وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء)[٩٦].

ثانياً: الإمام الباقر عليه السلام والتزكية

١- مقوّمات التزكية عند الإمام الباقر عليه السلام:

لا تتحقق التزكية إلاّ بعد أن تنطلق من القلب والضمير وتتفاعل مع الشعور بخشية مستمرة وحذر دائم وتوقٍّ من الرغائب والشهوات، والمطامع والمطامح، فلا بد وأن تكون شعوراً في الضمير، وحالة في الوجدان، وضعاً في المشاعر لتتهيأ النفوس لتلقي أسسها وتقريرها في الواقع، ولهذا ركّز الإمام عليه السلام في الجانب النظري على أهم المقومات التي تدفع النفس للتزكية وهي:

أ ـ تحكيم العقل.

ب ـ تبعية الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية.

ج ـ استشعار الرقابة الإلهية.

د ـ التوجّه إلى اليوم الآخر.

أ ـ تحكيم العقل:

إن الله تعالى خلق الإنسان مزوداً بعقل وشهوة، ومنحه معرفة سبل الهداية من خلال البينات والحقائق الثابتة، وهو مكلف بإعداد القلب للتلقي والاستجابة والتطلع إلى أفق أعلى واهتمامات أرفع من الرغبات والشهوات الحسّية، ولهذا ركّز الإمام عليه السلام على تحكيم العقل على جميع الرغبات والشهوات، ليكون للإنسان واعظ من نفسه يعينه على تزكية نفسه. قال عليه السلام: **(من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً)** (٩٧). وقال أيضاً:**(من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه)** (٩٨).

ب ـ **تبعية الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية:** ان تكامل النفس لا يتم إلاّ من خلال التطابق بين الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية وذلك باتباع المنهج الإلهي في الحياة، وهذا التطابق يحتاج إلى مجاهدة الهوى والهيمنة على الشهوات وتقييدها بقيود شرعية؛ فإنّ مجاهدة النفس تجعل الإنسان مستعدّاً بالفعل لتلقّي الفيض الإلهي لإكمال نفسه وتزكيتها على أساس المنهج الربّاني للإنسان في هذه الحياة. قال الإمام الباقر عليه السلام: (يقول الله عَزَّ وجَلَّ: وعزّتي وجلالي، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلاّ جعلت غناه في قلبه، وهمّه في آخرته...)(٩٩).

ج ـ **استشعار الرقابة الإلهية:** لا تتم التزكية إلاّ باستشعار الرقابة الإلهية في العقل والضمير والوجدان، والإحساس بأنّ الله تعالى محيط بالإنسان، يحصي عليه حركاته وسكناته، ولهذا ركّز الإمام الباقر عليه السلام على هذه الرقابة لتكون هي الدافع لإصلاح النفس وتزكيتها، ففي موعظته لجماعة من أنصاره قال:**(ويلك كلّما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه، فارتكبته كأنك لست بعين الله، أو كأن الله ليس لك بالمرصاد !...)** (١٠٠).

د ـ التوجّه إلى اليوم الآخر:

إن التوجه إلى الحياة الأخرى الخالدة يمنع الإنسان من الانحراف ويدفعه لتخليص النفس من ربقة الشهوات وظلمة المطامع وأدناس الهوى. وقد وجّه الإمام عليه السلام الجماعة الصالحة إلى ذلك اليوم ليجعلوه نصب أعينهم ليكون حافزاً لهم لإصلاح النفس وتزكيتها،

ومما جاء في موعظته لجماعة منهم قوله عليه السلام:(... يا طالب الجنّة ما أطول نومك وأكَلَّ مطيّتك، وأوهى همتك، فلله أنت من طالب ومطلوب! ويا هارباً من النار ما أحث مطيتك إليها وما أكسبك لما يوقعك فيها! يا ابن الأيام الثلاث: يومك الذي ولدت فيه، ويومك الذي تنزل فيه قبرك، ويومك الذي تخرج فيه إلى ربك، فياله من يوم عظيم! يا ذوي الهيئة المعجبة والهيم المعطنة ما لي أرى أجسامكم عامرة وقلوبكم دامرة؟!) [١٠١]. وبيّن الإمام عليه السلام أن الدنيا دار بلاء وامتحان، وان هذا الابتلاء يتناسب مع درجة إيمان الإنسان فقال: **(إنّما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه)**[١٠٢].

٢- منهج التزكية عند الإمام الباقر عليه السلام

رسم الإمام عليه السلام للجماعة الصالحة منهجاً واقعياً متكاملاً وشاملاً لتزكية النفس وتربيتها بحيث يكون كفيلاً بتحقيقها عند مراعاته بشكل دقيق. وتتحدد معالم هذا المنهج بالنقاط التالية:

أ ـ الارتباط الدائم بالله تعالى

الارتباط بالله تعالى والاستسلام له والعزم على طاعته من شأنه أن يمحّص القلوب، ويطهّر النفوس، لأنه ينقل الإنسان من مرحلة التفكّر والتدبّر في عظمة الله تعالى وهيمنته ورقابته إلى مرحلة العمل الصالح في ظلّ هذا التدبر، فالعزم يتبعه العون منه تعالى، ويتبعه التثبيت على المضي في طريق تزكية النفس. والارتباط بالله تعالى يبدأ بمعرفته التي تحول بين الإنسان وبين مخالفة ربّه وخالقه، قال عليه السلام: (ما عرف الله من عصاه) [١٠٣]. فإنّ المعرفة تنتج الحبّ والحبّ الصادق يحول بين الإنسان وبين مخالفة محبوبه. والارتباط بالله تعالى يتجسد في مراتب عديدة منها: حسن الظن بالله ورجاء رحمته، فقد روى عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (والذي لا اله إلاّ هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب الناس)[١٠٤]. ويتحقق الارتباط بالله تعالى أيضاً عن طريق المداومة على العبادات وقد حثّ الإمام عليه السلام الجماعة الصالحة على كثرة العبادة، حتى جعلها إحدى خصائصهم ـ كما تقدم ـ. وحثّ عليه السلام على قراءة القرآن الكريم والسير على منهاجه. كما حثّ عليه السلام على جعل الروابط والعلاقات الاجتماعية قائمة على أساس القرب والبعد من الله تعالى، فقد أورد أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وآله تؤكد على ذلك ومنها قوله

ﷺ: (ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ومن أحبّ في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله ؛ فهو من أصفياء الله) (١٠٥).

ب ـ الإقرار بالذنب والتوبة

إن منهج أهل البيت عليهم السلام يهدف إلى علاج النفوس البشرية، واستجاشة عناصر الخير فيها، وإلى مطاردة عوامل الشر والضعف والغفلة. والطبيعة البشرية قد تستقيم مرة وتنحرف مرة أُخرى، ولهذا فإنّ العودة إلى الاستقامة تقتضي محاسبة النفس باستمرار، والإقرار بالأخطاء، ثم التوبة، والعزم على عدم العود، ولذا أكّد الإمام عليه السلام على هذه المقومات، وبدأ بالإقرار بالذنب كمقدمة للنجاة منه، فقال عليه السلام:(والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقرّ به). وقال عليه السلام: (كفى بالندم توبة) (١٠٦).

والإقرار يتبعه الغفران بعد طلبه من الله تعالى، قال عليه السلام:(لقد غفر الله لرجل من أهل البادية بكلمتين دعا بهما قال: اللهم إن تعذبني فأهل ذلك أنا، وإن تغفر لي فأهل ذلك أنت، فغفر له) (١٠٧).

والتوبة تمحي الذنب فيعود الإنسان من خلالها إلى الاستقامة ثانية، قال عليه السلام:(التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ) (١٠٨). ج ـ الحذر من التورّط بالذنوب الحذر والحيطة من الذنوب ضرورة ملحة في تزكية النفس، وهي تتطلب الدقة في تناول كل خالجة وكل حركة وكل موقف، وتتطلب التحليل الشامل للأسباب والظواهر، والعوامل المسبّبة للموقف، والتعالي بالنفس في ميادينها الباطنية، ولهذا دعا الإمام عليه السلام إلى الحذر والحيطة من جميع الممارسات فقال:(إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعلّ سخطه فيه، وخبأ أولياءه في خلقه، فلا تحقرنّ أحداً فلعلّه ذلك الولي) (١٠٩). ودعا عليه السلام إلى الاحتياط في القول في الحكم على الأشخاص والأعمال والممارسات فقال:(لا يسلم أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه) .وقال عليه السلام لأحد أصحابه:(يا فضيل بلّغ من لقيت من موالينا عنّا السلام، وقل لهم: إني أقول: أني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلاّ بورع، فاحفظوا ألسنتكم، وكفّوا أيديكم، وعليكم بالصبر والصلاة؛ إن الله مع الصابرين)(١١٠).

د ـ تعميق الحياء الداخلي

إن موجبات التزكية كامنة في النفس ذاتها، قبل التأثر بالعوامل الخارجية، والتزكية ليست مجرد كلمات ورؤى نظرية بل هي ممارسة وسلوك عملي، يجب ان تنطلق من داخل النفس الإنسانية، ولا بد أن يتسلّح الإنسان

بالواعز الذاتي الذي يصدّه عن فعل القبيح، ولذا أكّد الإمام عليه السلام على الحياء لأنه حصن حصين يردع الأهواء والشهوات من الانطلاق اللامحدود، قال عليه السلام:(الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه)

هـ ـ كسر الأُلفة بين الإنسان وسلوكه الجاهلي

حينما يعتاد الإنسان على السلوك الجاهلي فإنه سيأنس به، ويألفه حتى يصبح وكأنه جزء من كيانه، ترضاه نفسه، ويقبله قلبه، ولهذا فهو بحاجة إلى كسر هذه الألفة وهذا الأُنس إن أراد أن يزكّي نفسه ويسمو بها إلى مشارف الكمال، ولذا أكّد الإمام عليه السلام على بعض الخطوات التي تكسر هذه الألفة، فقال:(إن الله يبغض الفاحش المتفحّش). وزرع في النفس كراهية الطمع والرغبات المذلة، فقال:(بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله) [٧٠]. ومن أجل زرع الكراهية للشر روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (ألا إن شرار أمتي الذين يكرمون مخافة شرّهم، ألا وإنّ من أكرمه النّاس اتقاء شرّه فليس منّي) [١١١]. وقال عليه السلام:(... إنّ أسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يَعمى عليه من نفسه، وأن يأمر للناس بما لا يستطيع التحوّل عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه)). فإذا كسرت الألفة بين الإنسان وسلوكه الجاهلي فإنّه سيقلع عنه، ويكون مهيّئاً لتقبل السلوك الإسلامي. و ـ إزالة الحاجز النفسي بين الإنسان والسلوك السليم قد يحدث حاجز نفسي بين الإنسان والسلوك السليم بسبب ضغط الأهواء والشهوات، أو بسبب الهواجس والوساوس المطبقة عليه، وسوء التصور، ورواسب الجاهلية، والضعف البشري، فلا بد من إزالة هذه الحواجز أولاً ثم التمرين على ممارسة السلوك السليم ثانياً. فقد حبّب الإمام عليه السلام إلى أصحابه السلوك الصالح، بربطه بالعبادة وطلب العون من الله تعالى، فقال:(ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج، وما من شيء أحبُّ إلى الله من أن يُسأل، وما يدفع القضاء إلاّ الدعاء، وإن أسرع الخير ثواباً البرّ...) . وحبّب إلى النفوس حسن

الخلق والرفق، فقال:(من أعطي الخلق والرفق، فقد أعطي الخير كلّه، والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حُرم الرفق والخلق كان ذلك له سبيلاً إلى كل شرّ وبليّة إلاّ من عصمه الله تعالى)[١١٢]. وحبّب إلى نفوس أصحابه الأدب وحسن السيرة، فقال:(ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلاّ كان أفضلهما عند الله آدبهما) وروى عليه السلام عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: (إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا) .وحثّ عليه السلام على أداء العبادات المندوبة لكي تتجذر في النفوس وفي الإرادة، لأنها تساعد على إصلاح النفس وتزكيتها، وبيّن ثواب من عمل بها،

واستمر على أدائها في جميع الظروف والأحوال. وحثّ على التمرّن على الأخلاق الفاضلة والخصائص الحميدة، فقال عليه السلام:عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً كان أو فاجراً، فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ائتمنني على أمانة لأديتها إليه[١١٣].

ثالثاً: المنهج التثقيفي عند الإمام الباقر عليه السلام

العلم خير وسيلة لتجلية حقيقة التصور الإسلامي، والمنهج الإلهي في الحياة الإنسانية. وهو الوسيلة المُثلى لتوجيه الجماعة الصالحة للارتفاع بها إلى مستوى الأمانة العظيمة التي ناطها الله بها. ولذا كان أهل البيت عليهم السلام يتشدّدون مع الجماعة الصالحة في أمر تلقي العلوم المرتبطة بالعقيدة والشريعة من مصادرها الأصيلة وهي القرآن والسنة الشريفة. وفي منهج الإمام الباقر عليه السلام التثقيفي والتعليمي المعد للجماعة الصالحة نلاحظ التأكيد على الأمور التالية:

١- الحث على طلب العلم

حثّ الإمام عليه السلام على طلب العلم، وخصوصاً علم الفقه فقال:(الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائبة وتقدير المعيشة) . وحث عليه السلام على السؤال باعتباره مفتاح العلم، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:(العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسئلوا يرحمكم الله، فانه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمجيب لهم) [١١٤].

٢- موقع العلماء المتميّز وفضلهم

بيّن الإمام الباقر عليه السلام فضل العالم وقدّمه على العابد، لأن العلم الحقيقي يجعل الإنسان

على وعي كامل بالحقائق والتصورات وبالأحداث والمواقف، فلا يختلط عليه أمر بأمر ولا موقف بموقف فيكون قادراً على التمييز والتشخيص، وإصابة الواقع في جميع مجالاته، قال عليه السلام:(عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد) [٤]. وقال عليه السلام: (والله لموت عالم أحبّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً) . وبيّن عليه السلام خصائص العالم فقال:(إنّ الفقيه حق الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي) [١١٥].

٣- الإخلاص في طلب العلم: حث عليه السلام على إخلاص النية في طلب العلم، بأن يكون الهدف النهائي من طلبه للعلم هو الوصول إلى الحقّ، وتقريره في عقول الناس وقلوبهم تقرباً إلى الله تعالى، وتجسيداً لمنهجه في الحياة. قال عليه السلام:(من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوء مقعده من النار، إنّ الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها) [١١٦].

الخاتمة:

كان عصر الإمام الباقر عليه السلام، من أدقّ العصور الإسلامية، وأكثرها حساسيةً، فقد نشأ فيه الكثير من الفرق الإسلاميّة، وتصارعت فيه الأحزاب السياسيّة، كما عمّت الناس ردّة قويّة إلى الجاهلية وأمراضها، فعادوا إلى الفخر بالآباء والأنساب، ممّا أثار العصبيّات القبليّة، وعادت الصراعات القبلية إلى الظهور، وهذا ما شجّع عليه حكام بني أميّة، كما انتشرت مظاهر التّرف واللهو والغناء، والثراء الفاحش غير المشروع.

١- النتائج:

تصدّى الإمام عليه السلام لكلّ هذه الانحرافات، فأقام مجالس الوعظ والإرشاد، كي يحفظ لدين جدّه نقاءه وصفاءه. كما تصدّى عليه السلام للفرق المنحرفة، فاهتمّ برعاية مدرسة ((أهل البيت)) التي أنشأها جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم من بعده الأئمة الأطهار من ولده. وقد التفّ حول الإمام الباقر علماء كثيرون، نهلوا من صافي علومه ومعارفه في الفقه والعقيدة والتفسير وعلوم الكلام.

وبعد عمر قضاه في الدعوة إلى الله، ونشر العلوم والمعارف، كما قضاه في مقارعة البغي والظلم والانحراف عن الدّين؛ دسّت له السمّ يد أثيمة، لا عهد لها بالله ولا باليوم الآخر،

يد من أيدي أعدائه بني أميّة، الذين خافوا منه سموّ خلقه، وعظيم تقواه، ورفعة منزلته، والتفاف الناس من حوله.

وانطوت باستشهاد باقر علوم الأوّلين والآخرين، صفحة رائعة من صفحات الرسالة الإسلامية، أمدّت المجتمع الإسلاميّ بعناصر الوعي والتطوّر والازدهار.

وكما نوصي بما يلي

٢- التوصيات:

إصدار وثيقة احتجاجٍ على تجاهل العالم لدثر معالم البقيع العقائدي والأثري الإسلامي، ومطالبة منظّمة اليونسكو العالمية بالتدخّل لحمايته وإعادة بنائه بوصفها الجهة الدولية المحايدة للحفاظ على التراث الإنساني.

وجعل كلّ دورة من الدورات مخصّصة بموضوعة محدّدة من إرث الإمام الباقر عليه السلام الفكري وامتدادات مدرسته، لتكون الموضوعات أكثر تخصّصاً ومعالجة.

هوامش البحث

(١) المناقب: محمد بن علي ابن شهر آشوب ٥٨٨، ج ٢ /ص ٢٨٦.
(٢) ائمتنا، سيرة الائمه الاثنى عشر عليهم السلام علي محمد دخيل، ج١ /ص ٣٩٦.
(٣) بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي،ج ١١ /ص ٨٢
(٤) كشف الغمة: ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي،ص ٢١٢.
(٥) ائمتنا، سيرة الائمه الاثنى عشر عليهم السلام: علي محمد دخيل،ج٢ /ص ٨٥.
(٦) المناقب: العالم الإمامين محمد بن علي ابن شهر آشوب، ج ٢ /ص ٢٧٨.
(٧) بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي:ج ١١ /ص ٨٨.
(٨) في رحاب أئمة أهل البيت: السيد محسن الامين: ٤ / ١٠.
(٩) كشف الغمة: ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي، ص٢١٨.
(١٠) الائمة الاثنا عشر: السيد هاشم معروف الحسني،ص ٨١.
(١١) مطالب السؤول، محمد بن طلحة نصيبي، ص ٨٠

(١٢) المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة: جعفر الخليلي الناشر،ص ٢٠١.
(١٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم؛ ج٣ /ص ١٨٠.
(١٤) اخبار الدول: سلم بن سهل الرزار الواسطي، ج ١ /ص ١١١.
(١٥) الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة: ابن صباغ المالكي الناشر، ص ٢٠١.
(١٦) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ج ٣ /ص ٣١٤.
(١٧) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي، ص ٣٠٥.
(١٨) سبائك الذهب في معرفة قبائل العربِ: محمد أمين السويديّ البغداديّ،ص ٧٢
(١٩) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب،، ٣٣٧/٣.
(٢٠) عيون الأخبار وفنون الآثار: إدريس عماد الدين القرشي، ص ٢١٨.
(٢١) تأريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر،ج٥١ /ص ٥٢، عيون الأخبار لابن قتيبة: ٣ / ٥٧.
(٢٢) تأريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر،ج ٥١ /ص ٥٢، عيون الأخبار لابن قتيبة: ٣ / ٥٧.
(٢٣) الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة: ابن صباغ المالكي،ص ٢٢٧.
(٢٤) عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، ٣ / ٢٠٨.
(٢٥) البيان والتبيين: الجاحظ، ١٥٨.
(٢٦) عن شرح شافية أبي فراس، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون **أبو فراس** الحمداني،٢ / ١٧٦.
(٢٧) حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الشيخ **باقر** شريف القرشي، ١ / ١٢٤.
(٢٨) الفتوح: أحمد ابن اعثم الكوفي: ٥ / ١٥٣.
(٢٩) تاريخ الخميس: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، ٢ / ٣٠٠.
(٣٠) الكامل في التاريخ: محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن، ٤ / ١١٣.
(٣١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد المعتزلي،٩ / ١٣٨.
(٣٢) المصدر السابق: ١١ / ٤٦.
(٣٣) البداية والنهاية: بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن،٩ / ١٣٨.
(٣٤) كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر: الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي الرازي، ١٤٤ - ١٤٥.
(٣٥) مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر: محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، ٢٣ / ٧٨، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٠٤.
(٣٦) إعلام الورى بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي، ٢٠٧.
(٣٧) كفاية الأثر: الخزاز القمي، ٢٣٩.

(٣٨) كفاية الأثر: الخزاز القمي، ٢٤١.
(٣٩) بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي،٤٦ / ٣٢٠.
(٤٠) كفاية الأثر: الخزاز القمي، ٢٤٣.
(٤١) كفاية الأثر:الخزاز القمي، ٢٣٩
(٤٢) الكافي: الشيخ الكليني، ١ / ٣٠٥.
(٤٣) أهل البيت: السيد محمد باقر الصدر الناشر، ٥٩.
(٤٤) كثير: إسماعيل بن عمر **بن كثير** القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، ٦٤/٩.
(٤٥) أهل البيت: محمد باقر الصدر الناشر، ١٣١ ـ ١٣٢ و١٤٧ ـ ١٤٨.
(٤٦) اريخ ابن كثير: إسماعيل بن عمر **بن كثير**،٢٦٠/٨.
(٤٧) النزاع والتخاصم للمقريزي: محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، ص ٨.
(٤٨) تاريخ الخلفاء للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،ص ٢١٩.
(٤٩) المصدر السابق: ٢١٨.
(٥٠) تاريخ اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن وهب،٢ / ١٩٠،
(٥١) مختصر تاريخ دمشق: محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، ٢١٩/١٥،
(٥٢) تاريخ القضاعي: القاضي محمد بن سلامة بن جعفر، ٧٢.
(٥٣) اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، ٣١١/٢.
(٥٤) المأفون: الضعيف الرأي.
(٥٥) شرح ابن أبي الحديد: محمد ابراهيم الناشر،٢٥٧/١٥.
(٥٦) نهاية الإرب: أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين، ٣٣٤/٢١.
(٥٧) تاريخ ابن كثير: إسماعيل بن عمر **بن كثير** القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، ١٣٢/٩.
(٥٨) تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٣١١/٢.
(٥٩) شذرات الذهب: بد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد،١٠٦/١ ـ ١٠٧.
(٦٠) مروج الذهب: ابي الحسن بن علي المسعودي، ٨٦/٣.
(٦١) حياة الحيوان للدميري: محمد بن موسى بن عيسى بن علي **الدميري**، ١٦٧/١.
(٦٢) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٢١١/٢،
(٦٣) حياة الحيوان: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، ١٧٠/١،
(٦٤) طبقات ابن سعد: أبو عبد الله محمد **بن سعد** بن منيع الهاشمي،٦٦/٦.
(٦٥) مروج الذهب: ابي الحسن بن علي المسعودي،٧٤/٣.
(٦٦) حياة الحيوان: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، ١٧١/١.
(٦٧) تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٢١١/٢.
(٦٨) النزاع والتخاصم: المقريزي، ٢٧،

(٦٩) شرح النهج، ابن ابي الحديد المعتزلي،١٥/٢٤٢.
(٧٠) العقد الفريد: عبد ربه الأندلسي،٣/١٤٩.
(٧١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، ١١/٤٣ ـ ٤٤،
(٧٢) حياة الإمام الحسن بن علي: الشيخ باقر شريف القرشي،٢/٣٣٦.
(٧٣) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بـ (اليعقوبي)، ٣/٦٨.
(٧٤) مروج الذهب: أبي الحسن بن علي المسعودي، ٣/٦٨.
(٧٥) هذيب تاريخ دمشق: لابن عساكر، ٤/٥٠،
(٧٦) حياة الحيوان: للدميري،١/١٧٠.
(٧٧) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ٥/٣٤٩.
(٧٨) تهذيب التهذيب: ابو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٢/٢١٢.
(٧٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي،٨ / ١٢١.
(٨٠) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ٨ / ١٢١.
(٨١) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٩٧.
(٨٢) بحار الأنوار: المجلسي، ٥ / ٢٩٨.
(٨٣) بحار الأنوار: المجلسي، ٦٧ / ٢١١.
(٨٤) المصدر السابق: ٣ / ٢٦٤.
(٨٥) المصدر السابق: ٢ / ٢٩٨.
(٨٦) بحار الأنوار: المجلسي، ٤٦ / ٣١٣ ـ ٣١٥.
(٨٧) بحار الأنوار: المجلسي، ٤٦ / ٣١٣ ـ ٣١٥.
(٨٨) راجع مبحث، ملامح وأبعاد هامة في عصر الإمام الباقر عليه السلام.
(٨٩) الاحتجاج: الطبرسي، ٢/١٨٤
(٩١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ٤ / ٢٢٩.
(٩١)
(٩٢) المحاسن: أبو عبيد البكري، ٢٤٤.
(٩٣) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٨١.
(٩٤) المحاسن: أبو عبيد البكري، ٢٣٨.
(٩٥) المحاسن: أبو عبيد البكري،٢٣٨.
(٩٦) تحف العقول: الحسن بن علي بن شعبة الحراني، ٢١٧.
(٩٧) المصدر السابق: ١٢١٨
(٩٨) المحاسن: أبو عبيد البكري، ٩٢، ٩٣
(٩٩) الكافي: الإمام العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي،٢ / ٧٤.

(١٠٠) المصدر السابق: ٢ / ١٨.
(١٠١) الخصال: الشيخ الصدوق، ١ / ٢٧٨.
(١٠٢) المحاسن: ١٥١.
(١٠٣) النحل (١٦): ٤٣.
(١٠٤) البقرة (٢): ١٤٣.
(١٠٥) البقرة (٢): ١٤٣.
(١٠٦) التوبة (٩): ١١٩.
(١٠٧) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ٤ / ١٩٤، ١٩٥.
(١٠٨) المحاسن: أبو عبيد البكري، ١٥٥.
(١٠٩) تحف العقول: شيخ المفيد،، ٢٢٠.
(١١٠) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٦٥ / ١٦٨.
(١١١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٦٥ / ١٨٩.
(١١٢) الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، ٢/٢٣٤.
(١١٣) تحف العقول: الصدوق، ٢٠٦،
(١١٤) الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، ٢ / ٧٤
(١١٥) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٦٥ / ١٦٨.
(١١٦) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ٤ / ١٩٤، ١٩٥.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن الأثير، عزّ الدين، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٤٠٢هـ.ق /١٩٨٢م.
٢. ابن النديم، محمد، كتاب الفهرست، ترجمة محمد رضا تجدد، طهران، مطبعة سپهر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٦ هـ.ش.
٣. ابن حجر الهيتمي، أحمد، الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، بلا تا.
٤. ابن شهر آشوب، ابي جعفر محمد بن علي، مناقب آل ابي طالب، انتشارات ذوي القربى، الاولى، ١٤٢١ هـ/١٣٧٩هـ ش.
٥. الدخيل، علي محمد علي، أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر، قم، مؤسسة دار الكتب الاسلامي، الثالثة، ١٤٢٩ق /٢٠٠٨م.

٦. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٧. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، الاحتجاج، مشهد، نشر المصطفى، ١٤٠٣ هـ.
٨. الطبرسي، أمين الإسلام، إعلام الورى بأعلام الهدى، الثانية، ١٣٧٧هـ.ش.
٩. الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، قم، مؤسسة البعثة، الأولى، ١٤١٣ هـ.
١٠. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تصحيح حسن المصطفوي، جامعة مشهد، ١٣٤٨هـ.ش.
١١. العاملي، الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا تا.
١٢. القمي الرازي، أبي القاسم علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة اثني عشر، قم، مطبعة الخيام،١٤٠١هـ.
١٣. الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن علي، المصباح، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٤. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، الثالثة، ١٣٨٨ هـ.
١٥. المجلسي، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ.
١٦. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد، ترجمه محمد باقر ساعدي، طهران، انتشارات إسلامية، ١٣٨٠هـ ش.
١٧. النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، بيروت، دار الاضواء، ١٤٠٤هـ.
١٨. اليعقوبي، ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ترجمه محمد إبراهيم آيتي، طهران، انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٧٨هـ ش.
١٩. بلاغة الامام علي بن الحسين عليه السلام، خطب ورسائل وكلمات، جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري، نشر: دار الحديث ـ قم، ١٤٢٥هـ.
٢٠. تاج العروس، الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٤٤هـ.
٢١. تاريخ الاسلام، الذهبي (٧٤٨٨هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
٢٢. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت١٤١٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ.
٢٣. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ابن عساكر)، تحقيق: علي شيري، الناشر: دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٢٤. تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني، ت ٩٦٥٥، تحقيق: مدرسة الامام المهدي (عج)، مطبعة أمير - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٥. تباشير المحرورين، محمد بن اسماعيل الواعظ اليزدي، ت ١٣٣٣هـ، طبع سنة ١٣٣١هـ.
٢٦. تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، ق ٤٤، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ق.
٢٧. تفسير الآلوسي، المؤلف الآلوسي.
٢٨. تفسير الرازي الكبير، الفخر الرازي، ت ٦٠٦هـ مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
٢٩. تفسير الصافي (التفسير الصافي)، محسن الفيض الكاشاني، ت ١٠٩١١هـ، تحقيق: حسين الأعلمي، الناشر، مكتبة الصدر - طهران، مطبعة الهادي - قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
٣٠. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١١هـ، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، دار احياء التراث العربي - بيروت.
٣١. تفسير القمّي، علي بن ابراهيم القمّي، ت ٣٢٩٩، تحقيق: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٣٢. تفسير روح البيان، إسماعيل حقّي البروسوي، ت١١٣٧هـ، طبع سنه ١٣٠٦٦ هـ.
٣٣. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، طهران، مكتبة نينوي الحديثه، ناصر خسرو.
٣٤. شريف القرشي، باقر، حياة الامام محمد الباقر
٣٥. قم، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الأولى، ١٣٨٥هـ ش.
٣٦. قم، دار الكتب العلمية، اسماعيليان النجفي، ١٣٩٧.
٣٧. مجموعة من المؤلفين، أعلام الهداية الإمام الباقر